المبحث الواحد والثلاثون:

جدلية الجغرافيا الوحدوية.

إن لهذا العامل كما تقدم أثره في تحقيق ضمان حقيقي ، لحماية الوحدة وصونها، إذ يتيح لقوات الشعب الحركة و مواجهة أية مخاطر تواجه وحدتهم، وتتيح لمؤسسات الدولة الواحدة ممارسة دورها البناء في جميع الظروف، ورغم الصعاب والتحديات على المساحة الكاملة لها .

لهذا أدرك من صاغ سايكس بيكو، أهمية عامل التجانس والتماسك الوحدوي، وأهميته في التفتيت والتشتيت الفكري، البشري والمعنوي والاقتصادي، لذلك كان ممنوعاً على العراق، التوحد مع سورية، لأن جدلية المنطق الجغرافي الوحدوي، تفرض نفسها وتقف داعماً للإرادة الشعبية الوحدوية، لذلك وضع " سايكس وبيكو" العراق بعيداً عن سورية واخترع له أحلافاً تعزز هذا البعد الانفصالي، "كحلف بغداد" وكذلك الأمر بالنسبة للأردن وفلسطين ومصر والسودان وليبيا، لأن إعادة الوحدة بين شقيقين جارين، من الصعب إفشالها، ومن السهل الحفاظ عليها. لذلك نرى حين يفاجئ الغرب وإسرائيل، بأي تقارب بين قطرين، يطل تنفيذ الخطة المعدة مسبقاً، لتفعل فعلها وهذا ما نشير إليه بعد قليل فيما يلي:

البند الأول: لبنان سورية.

في ضوء ذلك نفسر الفعل السياسي والعسكري الهائل، الذي واجهته سورية خلال الـ (30) عاما من وجودها في لبنان، لحمايته من التقسيم والتآمر، إذ رغم تواجد القوى السياسية الوحدوية، والتواجد السياسي والعسكري فيه، وبالرغم من عشرات الاتفاقات الثنائية بين البلدين إلاّ أن الغرب وأميركا وإسرائيل، حالوا دون تحقيق الوحدة بين البلدين بالرغم من أننا نجد العائلة الواحدة تقطن في البلدين وتحمل جنسيتين، بل فعلوا أكثر من ذلك، حينما غرسوا وبمساعدة القوى الرجعية العربية والقوى الانعزالية وإسرائيل والغرب فكرة مآلها، بأن الوجود السوري وجود

obeikandi.com

احتلال أجنبي للبنان، بعد أن اسقطت سورية اتفاق (17) أيار سيء الصيط ،مع إسرائيل، وقد استطاعوا أن يؤثروا بشرائح المجتمع الواحد في البلدين، مستغلين أخطاء بعض المسؤولين السوريين واللبنانيين، فهولوها وجعلوا منها معوقا ت مستحيلة الإزالة، تحت مظلة خادعة بأن لبنان أنموذج للحرية والاستقلال، بينما يغرقونه بالطائفية والمذهبية والتبعية الرخيصة عالمياً و إقليمياً، بعد أن فشلوا في فتح أبوابه على مصراعيه في وجه إسرائيل نفسها .

سورية بقيت (30 عاما) على مركب واحد مع لبنان، ولا زالت ولم يسمح للشعبين الشقيقين بتحقق الوحدة، رغم كون (الإرادة الحقيقية) والضرورة المصيرية يلحان على تحقيق ذلك، إلاّ أننا وجدنا قوى النزوع الانفصالي والانعزالي قد استطاعت أن تزرع الضغائن بين البلدين، وقد بذلوا كل طاقة ليزرعوا عداوات ويقيموا معيقات، تمهيدا للانقضاض الكبير على عرى الأخوة التاريخية، بين أبناء الأمة الواحدة.

(إن الذي تواجهه سورية الآن، والذي تواجهه مصر وتونس وليبيا واليمن والعراق)، هو إحدى فروع استراتيجيتهم، ضد الدول التي لم تستطع تطبيعها بعد، بينما تجعل الدول التي تخدم مصالحهم تنعم بالهدوء والاستقرار، بالرغم من أنها فاقدة لأدنى مقومات الدول الحديثة (مؤسساتياً وديموقراطياً ومجتمعياً وإنسانياً) كونها حارسة لمصالح أسيادها.

البند الثاني: ماذا ينشد الإبداع ؟؟

من حيث المبدأ فإن الإبداع يجب أن يكون للبناء، ولكننا علينا أن ندرك بأن أي فعل له ردة فعل، لأن القوى المضادة لإرادة الشعوب ليست نائمة، فهي تملك إمكاناتها وخبراتها ومخططاتها المعبرة عن مصالحها، هذه الحقيقة علينا ألا نتجاهلها إطلاقا، لذلك فإن ما نواجهه لم يأت بالصدفة بل هو عمل مخطط ينفذ مع سبق الإصرار بالتآمر.

ووفقاً لهذا الفهم، فإن الابداع ينتج عنه نتاجٌ معين، وهذا النتاج ممكن أن يستخدم لأغراض حميدة، وقد يستخدم لأغراض هدامة، وفي الحالين يتبوأ الإنسان

موقع حجر الزاوية في التنفيذ، بدءاً من التفكير فالإبداع واستخدامه وإنتاجه في الخير أم في الشر، وأمام ذلك لابد من توضيح.

ملحوظة: حول فهم الإنسان للإبداع.

قال المفكر عصمت سيف الدولة: ((إن الإنسان لا يكف عن الجدل حتى آخر لحظة في حياته)) وأنا أرى بأن الإنسان المُضطهد، يعيش ويمارس هذا الجدل، خاصة وأنه هو دافع الضريبة، وهو الباني بالوقت نفسه، ولكن من هو هذا الإنسان (المُستغِلْ) المُضطهدْ ومن هو الذي يدعي البناء ؟ و يسمي نفسه إنسانا، وهذا الأخير امتلك المؤسسات والإمكانات، كي يحوز القوة للسيطرة على الثروات والإنسان المُضطهد نفسه .

إذن الإنسان سيبقى في حالة جدل، (يفكر خيراً وشراً) وهنا مكمن الخطورة في غلبة، من على من، ونستشعر هنا إبداعاً في سبيل التقدم والسلام ونستشعر تفكيراً وإبداعاً في سبيل الهدم والعرقلة والاستغلال.
ونجد ان لكل مبرراته، وكل يعتبر ما يقوم به، حق من حقوقه التي تخدم مبدعيه للإبداع، غير أننا في جدل الانسان المفكر (لا نستطيع الحيادية)، فنحن مع التقدم ضد التخلف، ومع العلمية ضد السلفية والرجعية، وضد الأمية ومع العلم والمعرفة، لذلك لابد لنا من موقف وتوصيف للإبداع الذي ننشد، حتى لا نكون كالنعامة.

لذلك نرى بأن الانتماء ضرورة إنسانية، لأن الممارسة التي تفتقد المنهجية، لابد أنها كمن يسير في المناطق الوعرة، وكمن يتابع بدون بوصلة ودليل.

من هنا تبدو الضرورة الى توصيف الإبداع، والمطلوب من هذا الإبداع، لأن ذلك حاجة ملحة، كحاجتنا للإبداع نفسه، وأعتقد بأن الموقف المتقدم ذكره، وضّح بما لا يدع مجالا للشك، في أي موقع وموقف نقف، ولأي فكر ننتمي.

لذلك من يخطط ضد شعبنا لا يهمه إلا مصالحه، وهذا أمر بدهي وبغض الطرف عن الموقف المبدئي والتقويمي والوجدانيات منه، فان الفعل المضاد لنا، هو نتيجة

obeikandi.com

تفكير وحاجة تستحوذ على تفكير قوى استعمارية جشعة، تريد استغلال ثروات الاخرين.

لهذا فإننا في معرض تقويمنا لمجمل هذه العملية، لا نستطيع ألا نضعها في حقل الإبداع، ولكنه الإبداع الذي لا يبطن مخططوه القيام بعمل إنساني بناء .
إن موقفنا هذا هو نفس الموقف الذي وقفناه، من المخططات والإبداعات الأخرى، التي توظف للاستعمار، و للهدم وليس للبناء، وهو نفس الموقف الذي وقفناه بالنسبة لإبداع الذرة ،الذي من المفروض أن يكون في خدمة إسعاد البشرية، إلا أننا رأينا ما تمخض عنه من استخدامات مخيفة لا تمت للإنسانية بصلة، هذا الإبداع الذري الذي انحرفوا به عن الغاية التي أُبدع من أجلها.

البند الثالث: كيف نفهم دور الإبداع.

من هنا نرى بأن كل مواطن عربي، ومن موقع المسؤولية الوطنية و القومية، التي يضطلع بها أصبح يدرك لماذا هذا التركيز على الوعي والإبداع ؟، ولما نولي المبدعين ودورهم الخلاق هذه الأهمية في التغيير البنوي في أساسيات حياة الوطن العربي، كما أصبح يدرك ويعي بأن الإيمان بالهدف، يستلزم ربط اقوالنا بأفعالنا، والعمل الجاد للكشف عن مبدعينا، وأن نكون من البنائين ومن المساهمين في خلق البيئة التي يستحقونها .

يبقى كل ذلك في إطار التنظير لكن الأهم يتجسد في امتلاكنا تحقيق أمرين "وضع خطة – وتنفيذ هذه الخطة" التي تؤدي إلى تحفيز، وتنمية المبدعين والحفاظ عليهم من الهدر والنزف والهجرة والضياع والاستغلال من قبل القوى المعادية .

علينا أن نواجه حقائق واقعنا المرير بشجاعة وبموضوعية وعلمية، لان ما دُفع غاليٌ وجسيم، لكن الأهم أن نفهم بأن الآخر المعادي،يستغل الإبداعات الإنسانية و يخطط لاستخدامها ضد الأمم، الأمر الذي يستلزم بالضرورة مواجهة "الإبداع

بالإبداع"، وإلاّ فإننا لن نستطيع الحصول على الدور المنوط بنا كأمة، ولكن الإبداع الذي ننشد، تختلف أهدافه عن أهدافهم القريبة والبعيدة.

إن الابداع العربي الذي نرى لا يمكن أن يتم، إلاّ من خلال الوعي الجماعي للجيل، الذي يؤمن بوحدة وطنه الكبير وبرسالة أمته الحضارية، هذا الوعي الذي يوفر البيئة الإبداعية للمجموعات والأفراد وقد طرح (المفكر العربي عصمت سيف الدولة) نظرية الثورة العربية والتي استهدفت و حُيدتْ من قبل الحكومات الرجعية و القوى الانعزالية والانفصالية، لأنها النظرية التي تعكس الحقائق العقائدية لأمة العرب وقد أضاءت هذه النظرية، مخاطر الإقليمية والتجزئة، ما تلخصه الفقرات الآتية:

أولاً - إنهم سيزرعون دولة تفصل مغرب الوطن العربي عن مشرقه هذه الدولة التي ستكون متناقضة مع التكوين الحضاري للمنطقة ولكنها متجانسة مع الغرب الطامح لاستعمار الوطن العربي "وكانت هذه الدولة إسرائيل."

ثانياً - أن تكون دولة الفصل بين أجزاء وطننا الكبير تعتمد الدين عقيدة لها، لتبرير التوجه القادم في قيام دولة مسيحية في الوطن العربي، مثيلة لتلك الدولة أي "لإسرائيل" و ليكون لدى الاستعمار المبرر للتدخل في أي وقت يرغبه في منطقتنا بقصد حماية المسيحيين .

ثالثاً - زرع العداء بين دول التجزئة العربية، وجعلها متصارعة فيما بينها، لتكون في حال نزف دائمة وتابعة متخلفة ولاهثة لإرضاء الغرب .

رابعاً - إضعاف الأمل بإقامة أي وحدة عربية قادمة للأمة.

ولكن هذا التحليل العلمي والواقعي لسيف الدولة، لم تعي أهميته أكثرية القوى السياسية المنظمة في الوطن العربي، فبقي مجرد فكر مطروح، رغم تأكد الجميع من صحة نظريته، التي نُفذت خطوة خطوة أمام أعيننا وأعين أطفالنا، { لأن القوى الخارجية والداخلية المعادية، أدركت خطورتها على مصالحها} ، بينما لم يحرك

obeikandi.com

ساكنا من هم ضحايا التجزئة والفقر والتخلف والاستغلال والقصور النظري إزاء ذلك.

لقد قال المفكر سيف الدولة: ((الواقع ظاهرة ونحن نريد أن نغيره فهل هذا ممكن؟؟هذا سؤال أولي لا تخفى خطورته، إذ لوكان الواقع غير قابل للتغيير فإن أي حديث عن تغييره لابد من أن ينقطع، أما اذا كان قابلاً للتغيير فهنا فقط يصح الحديث عن منطق التغيير وغايته وأسلوبه، بديهي ومع هذا فإنه من أكثر الأسئلة تجاهلاً في الكتابات العربية العامرة بما يجب أن يكون من تغيير في الواقع العربي دون بيان ماذا إذا كان الواقع العربي قابلاً للتغيير أم لا؟ ولماذا هو قابل للتغيير؟))

ويقول سيف الدولة في مجال آخر: أن الإنسان ظاهرة، وان الطبيعة بدون الإنسان ليست متطورة فهي معه وبه متحولة من شكل لآخر.... والإنسان مدفوعٌ دائماً لإشباع حاجاته المادية والمعنوية، وهذا هو الباعث على حركة الإنسان وتطوره... ويؤمن بأن الإبداع بدون حرية لا يتحقق (ويقول بأن : الإبداع والعبودية لا يجتمعان)

البند الرابع: هكذا نقرأ فكر سيف الدولة؟

في ضوء ما تقدم ووفقا لوجهة نظري فأرى الآتي:

أولاً -إن الوحدة حاجة، والتجزئة واقع موجود، و (التجزئة) نقيضة الأولى بل هي الفيروس القاتل لها، الأمر الذي يستلزم ليس إبداعاً فحسب بل يستلزم متطلبات الإبداع، والتي نشير الى بعضها:

1 -أن يتم (تصنيع الدواء المعالج) وأن يُحدد الأسلوب النضالي للشعب في تحقيق الوحدة المنشودة، لمكافحة هذا الفيروس الذي يستشري وينهش وجود أمته.

2 - ضرورة فصل الدين عن الدولة، على أن يستلهم المضيء والموحد منه، بما يجسد الدولة المدنية التي يجب بنائها وبعثها من جديد.

3 -إن الحداثة المنشودة، هي الحداثة التي تحمل بصمات هويتنا وعلمنا وإنسانيتنا، والتي تعني الانفتاح الموضوعي على علوم الحضارات الإنسانية.

4 -ضرورة إحياء وتعميق الوعي القومي لإنساننا، وتسليح فكره وذهنيته دون كلل أو ملل، وجعل ذلك خبزنا اليومي، وحين نلح على فصل الدين عن الدولة، فإن ذلك لا يعني أننا ضد العقائد السماوية، بل لأننا ننشد ترسيخها ، خاصة وأنا تشكل المصدر الروحي للأمة العربية وبهذا فإن العروبة هي الملاذ وهي المصير.

ثانياً - إن النهضة التي نحتاج، هي حركة نهضوية حضارية مؤمنة بالانقلابية التربوية العلمية التنويرية، وهي ضرورة حتمية لمستقبل الأمة وأجيالها.

وليس على طريقة (الربيع العربي) الذي جاؤوا به ليدمر ويقتل ويشوه ويتيح ويحلل الموبقات لنفسه، حتى أنه أفنى الإنجازات الشعبية والتراث المقدس في المناطق التي حل بها وباء للعصر.

ثالثاً - يجب أن تقف التنظيمات السياسية الوطنية والقومية والتقدمية والشعبية، وقفات تقويمية {خلاقة} لمسيرتها الماضية، بكل جرأة وموضوعية ودون تردد، وبثقة عارمة بالأمة لفرز الغث عن السمين ولتعرية مسيرة الماضي و مثالبها، ومثالب حكوماتها وأساليبها وهناتها ونجاحاتها، بدون خجل ووجل، لأن الجبن والتردد مقتل للإبداع والمبدعين، وللوحدة والناس أجمعين، وأن تُمعن هذه التنظيمات بكليات المسائل السياسية الوطنية والقومية والتنظيمية، بحيث تفضي هذه الوقفات التقويمية إلى {خلق جديد} يجتاز الثغرات التي اعترت كل فعل وقول، وهنا نركز على مسألتين هامتين هما:

1 -العمل الجاد ليشمل تنظيمها السياسي فكرياً وتنظيمياً مساحة الوطن العربي الكبير، وأن يكون رائدها الوحدة التنظيمية لقواها السياسية العربية التقدمية بمختلف مشاربها، لأن تأسيس التنظيمات على أساس التجزئة، يعني انغماس هذه التنظيمات بالتجزئة والغرق في الواقع المراد النضال لتغييره .

2 -العمل على تجسيد الوحدة الفكرية، وبخاصة في الثوابت القومية بين منتميها وبين جماهيرها، والعمل الجاد والدؤوب، لتجسيد ذلك.

رابعاً - إن دول التجزئة التابعة، والمنفذة لإرادة الخارج ومخططاته، و التي تدّعي تبني الوحدة والقومية، تحمل مخاطر مركبة ضد العمل الوحدوي والشعبي، لأن دول التجزئة هذه، أخطر ما يواجه الأمة، لأن هذه الدويلات اكتسبت الخبرة بالعمالة بالتضليل وممارسة التعمية عن الهدف الصحيح، وبخاصة تلك الدويلات التي " تقرفص" على ثروات هائلة جيّرتها لصالح أعداء الأمة.

خامساً – يجب الممارسة بالقول والفعل، وبكل ثقة بالأمة العربية المؤمنة بالإخاء الوطني والقومي، الذي لا يفرق بين شريحة وأخرى أو فئة وأخرى، إلّا بصدق الانتماء للوطن، نافين منطق الأكثرية والأقلية في الجسم الواحد، لأن الأرض أرضنا والتاريخ صنعنا والمصير مصيرنا والهدف هدفنا والعدو واحد،متمثل بالعنصرية والصهيونية والاستعمار.

سادساً - من الضروري واللزوم، العودة الى المفردات العربية الفكرية التي تخدم التوجه الوطني والقومي، وعلينا أن نبتدعها، إن لم نجدها وأن نعمل على تعميمها وتجسيدها في الكتابة والخطابة، وفي القول والفعل، لأن الوحدة الفكرية مقوّم أساسي يجب أن نتمثله في كل ممارسة نأتيها.

لابد من الإشارة الى أن بعض المفكرين والكتاب – مع الأسف - قد هجروا (مفردات الوحدة الفكرية للأمة)، تلك المفردات والمصطلحات التي كانت تستخدم في مختلف مراحل النضال العربي، حيث تعبر عن ثوابتنا وعن ارادة أمتنا وتطلعاتها، هذه المصطلحات التي عكستها المعاناة، وعبرت عن الأهداف والأفكار، التي يناضل لتحقيقها الشعب رغم أنها تشكل حقائق الواقع الشعبي، وحقائق أفرزتها النظرات العلمية والحياتية، وسمات التغيير والتطوير في حاجات الأمة في تجديد أدواتها وأساليبها ومنطلقاتها، لا التراجع عن تلك الأفكار والأهداف والسقوط في خنادق القوى المستغلة، التي ازدادت استغلالا والصهيونية التي ازدادت عنصرية،

والرجعية التي ازدادت إمعاناً في نكوصها بالمجتمع العربي نحو التخلف والتبعية والاستسلام.

لقد أصبح البعض يخجل من استخدام مصطلح الثورة المضادة ومصطلح التقدم والاشتراكية، والصراع الطبقي، والفساد والمفسدين، وأصبح البعض يحاول تطعيم عطاءاته، بالأفكار التي غدت جوازات مرور للرقابة المسؤولة، وإرضاء للقوى الموبوءة التي تريد المزيد من تسميم أفكارنا، وحرف مسارات المتنورين منا باتجاهات تخدم المخططات ، التي أسرتهم و أصبحوا عبيدا لها و في خدمتها.

وعندما نتحدث عن المصطلحات، فإن طرحنا لها مقصود، لأن المصطلح تعبير يضيء الدروب نحو الأهداف القريبة والبعيدة، وبهذا نرى بالمصطلح نتاجا فكريا هاما، يعبر عن قضايا المجتمع.

وفق هذا الفهم أرى المصطلح يرتقي إلى مرتبة {الإبداع} ، لذلك فالتخلي عنه يعني النكوص الفكري المبدئي، بل يمس ثوابت ليس من حق الكافة التصرف بها على غاربه (اهتماما أو إهمالا) ، فإهمالها أو تجاوزها مسألة كأداء، لأن الثوابت والمصطلحات تتصل بالماضي والحاضر والمستقبل.

لذلك فإن هجرها والتخلي عنها، لا يمكن تبريره لأي سبب كان ((لأن هذا التخلي لابد أنه يهدف إلى خلط المفاهيم، ويستهدف الجماهير بغية تيئيسها، وتشتيت ذهنيتها وزعزعة الثقة بثوابتها، مع قناعتنا بان التخلي تلك المصطلحات، ليس نهاية المطاف فيما نرمي إليه، شكلا ومضمونا ، لأن الحاجات متجددة، والعقل يحتضن طاقات هائلة تنتظر الكشف و التحفيز لتنجز وتتحول الى خلق جديد، مدركين بأن الإبداع الفكري هو المقدمة الأولى للإبداعات الأخرى، هذه الحقيقة التي يجب أن يعيها سياسيونا ومبدعونا داخل إطار الوطن العربي وخارجه.